صيغة القولة:

- الرأي مُعطى حسّي، بينما الحقيقة بناء عقلي.

- أوضّح مضمون القولة، وأبين حدودها.

مطلب الفهم:

تنْوجِدُ القولة ضمن المجال الإشكالي الإبستمولوجي لمبحث المعرفة، المرتبط بمفهوم الحقيقة، وتحديدا مسألة علاقة الرأي بالحقيقة، وما تنطوي عليه من مفارقات وإحراجات تُفجّر إشكالا ضخما، سيما وأن القولة تعتبر الرأي مجرد معرفة حسية معطاة، في حين أن الحقيقة هي بناء عقلي وهذا القول يحمل ملمحا من الصحة والصواب مادات آراء الحس المشترك هي خليط من المعتقدات والتمثلات والأفكار الجاهزة بما تحمله من أوهام ومغالطات وأخطاء التي غالبا ما تتهاوى جراء تناقضاتها وهشاشتها، في حين أن الحقيقة باعتبارها نِتاجا عقليا تتسم بالصلابة والثبات والخلو من التناقض والخطأ، غير أن الكثير من المعارف البشرية في أصلها آراء بما في ذلك النظم الأخلاقية والمعطيات التاريخية، فهل يجب التخلّص منها جميعا؟ !

هكذا نجد أنفسنا أمام مجموعة من التساؤلات الملحّة من قبيل:

- ما الطرق الموصلة إلى الحقيقة؟
- وما علاقة الرأي بالحقيقة؟

- وهل الحقيقة فعلا بناء عقلي أم أن الرأي يمكن أن يكون سبيلا لا مفرّ منه إلى مأوى الحقيقة ؟

مطلب التحليل:

جوابا على الإشكالية تنتصر القولة لأطروحة مفادها أن الرأي مُعطى حسّي، بينما الحقيقة بناء عقلي، بمعنى أن الرأي هو حصيلة ما تمنحنا الإدراكات الحسية الجاهزة المرتبطة بالدوكسا وأهوائها وتقلباتها..، مما يجعله متعارضا مع الحقيقة التي تتأسس على التفكير العقلي، وما يستلزمه من استدلال دقيق وصرامة منطقية، ولتوضيح هذه الفكرة لابدّ من شرح الباقة المفاهيمية الناظمة للقولة بدءا بمفهوم الرأي الذي عرفه الفلسوف لالاند في معجمه الفلسفي بأنه حالة ذهنية تتمثل في الاعتقاد بصحة قول معين، مع القبول بإمكان الخطأ أثناء حكمنا هذا، وبالتالي فالرأي تصديق بأقوال أو أفكار أو وقائع لم تخضع للفحص النقدي ومعرفة ما إذا كانت منطلقاته صحيحة أو خاطئة وهو ماجعل اليونانيين القدامي يصنفونه ضمن دائرة الدوكسا أي المعرفة الحسية المعطاة بشكل قبلي وبالتالي هو خليط من المعارف الجاهزة بما تضمُّه من أضداد الحقيقة الكثيرة وبعض الصواب الذي يذوب داخل رُكام المعاطات، فيصبح كإبرة في كومة قش، أما مفهوم الحقيقة فيدل على صفة ما هو حق وما تمّت البرهنة عليه، وهي تستدعي الثبات والمطابقة والخلو من التناقض والكذب والخطأ وكل أضداد الحقيقة، وقد ربطها ابن منظور في لسانه باليقين.

ومن خلال الشرح المفاهيمي نستشِفُّ أن العلاقة بين الرأي والحقيقة هي علاقة تضاد وتعارض، فالرأي متغير باستمرار وزاخر بالأخطاء والأوهام والشكوك والظنون، عكس الحقيقة اليقينية الصلبة.

ولـدعم هـذه الـدعوى يكفـي أن نسـتمع للفيلسـوف سـقراط وهـو يسـأل تلميـذه أقريطـون: أينبغـي أن نتبـع رأي الجمهـور ونحشـاه فـي موضـوعات العـدل والظلـم، والجميـل والقبـيح والخيـر والشـر أو نتبـع رأي الفيلسـوف؟ ليصـل إلـى نتيجـة مفادهـا أنـه لا ينبغـي أن نلتفِـتَ لـرأي الحـس المشـترك فـي هـذه المواضـيع الخطيـرة، وإنمـا يجـب أن نُصـغي لحكـم الفيلسـوف، لأن الحقيقـة تقـوم علـى البنـاء العقلـي المنطقـي، ولـيس علـى الانطبـاع الحسـي الـذي يسـتند إليـه الـرأي، وبالتـالي أسَّـس فلاسـفة اليونـان للأطروحـة القائلـة بالتعـارض بين الرأي **والحقيقة.**

مطلب المناقشة:

لا نجانـب الصـواب إذا قلنـا إن أطروحـة القولـة تكتسـي قيمـة فلسـفية عميقـة، مـن خـلال كشـفها علـى تهافـت الـرأي بخلفيتـه الحسـية الاعتباطيـة، وإعلائهـا مـن أهميـة التفكيـر العقلـي المنطقـي كركيـزة صـلبة لتأسـيس الحقيقـة، وهنـا نستحضـر الفيلسـوف ديكـارت الـذي أكـد أن الكثيـر مـن معارفنـا المكتسـبة مـن المجتمـع تسـتند بالأسـاس إلـى المـدركات الحسـية التـي تخـدعنا ولا يمكـن الثقـة بهـا مطلقـا، لـذلك يجـب مسـاءلة وإعـادة النظـر فـي آرائنـا المسـبقة وأفكارنـا الجـاهزة بممارسـة **الشـك المنهجـي** وبنـاء معرفـة حقيقيـة بعيـدا عـن الـرأي العـام، ليكـون التفكيـر العقلـي هـو أساس وأُسّ الحقيقة.

لكـن رغـم وجاهـة ومكانـة هـذا التصـور الـذي يعلـي مـن ضـرورة إعمـال العقـل وممارسـة التفكيـر، ويـدعو إلـى القطـع مـع الـرأي الحسـي، إلا انـه ينطـوي علـى بعـض النقـائص، فـالكثير مـن المعـارف البشـرية فـي أصـلها آراء، بمـا فـي ذلـك

الـنظم الأخلاقيـة والمعطيـات التاريخيـة، **فهـل يجـب الـتخلّص منـها جميعا؟ !**

يجيبنـا الفيلسـوف ليبنتـز أنـه عنـدما لا نسـتطيع الجـزم فـي مسـألة مـا بشـكل قطعـي، يجـب أن نُحـدّد درجـة الاحتمـال انطلاقـا مـن المعطيـات المتـوفرة، حيـث أن الـرأي القـائم علـى الاحتمـال لـه دور كبيـر فـي المعرفـة سـواء التاريخيـة أوالأخلاقيـة بـل المعرفـة العلميـة، ويقـدم ليبنتـز المثـال التـالي **"لقـد كـان كوبرنيـك وحيـدا فـي رأيـه، وكـان ذلـك الـرأي أكثـر احتمـالا بشـكل لا يقبـل المقارنـة مـع رأي بـاقي النـوع البشـري.."**، ورأي كوبرنيـك اليـوم هـو **حقيقـة علميـة** كونيـة بديهيـة، فالشـمس هـي مركـز الكـون ولـيس الأرض، كمـا كـان يعتقـد المعلـم الأول أرسـطو، حيـث أصـبحت الحقيقـة الأرسطية مجرد رأي خاطئ.

ولتعميـق النقـاش أنفـتح علـى صـناعة الـرأي اليـوم، خصوصـا مـع الثـورة المعلوماتيـة المتسـارعة التـي تفنّنـت فـي هندسـة الـرأي العـام وقلـب الحقـائق وغسـل أدمغـة البسـطاء ونشـر الأوهـام، وهـذا مـا حـذر منـه الكثيـر مـن الفلاسـفة مـن أبـرزهم تشومسـكي فـي كتابـه "صـناعة الـرأي العـام" حيـث فضـح اسـتراتيجيات الـدول الكبـرى فـي بنـاء الـرأي العـام العـالمي التّضـليلي اعتمـادا علـى منطلقـات عقلانيـة بتوظيـف مراكـز دراسـات برّاقـة، يُشـرف عليـه خبـراء فـي مختلـف التخصصـات المعرفيـة، لتمريـر الكثيـر مـن المغالطـات والأوهـام بلبـوس عقلانـي وتحويـل البشـر إلـى قطيـع اسـتهلاكي يخضـع ويطيـع، ممـا يسـتوجب التعامـل بحيطـة مع الرأي العام عبر إخضاعه للمساءلة النقدية باستمرار.

مطلب التركيب:

يسعى التفكير الفلسفي من خلال مساءلة علاقة الرأي بالحقيقة إلى التحسيس بخطورة الكسل الفكري واستهلاك الآراء الجاهزة، التي أصبحت اليوم تستهدف ضرب المقومات الهوياتية للوجود الإنساني من خلال التنميط والقولبة ونشر ثقافة الاستهلاك ضمن نظام التفاهة، واستئصال الوعي والقدرة على النقد واعتبار القيم الأخلاقية مجرد مسكوكات لغوية فارغة، والتبشير بالقيم المادية وصولا إلى بضعنة الإنسان وتحويله إلى سلعة بواسطة الضخ المنتظم والممنهج لترسانة من الآراء المزيفة التي تقدم نمط حياة بلا معنى معارض للحقيقة.

من إعداد نورالدين برحيلة